# معبد الجهني

الدكتور يوسف فان اس

## - ٢ (*) -

إن هذا الاضطراب قلما يمس الفرق بين زوج « أم موسى » من جهة « وفردٍ من الأساورة » من جهة أخرى . فأحد الأمرين لايتعارض مع الآخر . فهناك نساء كثيرات يسمين أم موسى ورد ذكرهن عند ابن سعد . وعلى كل حال ، فإن واحدة منهن تستحق اهتمامنا (١) ، وهي تلك التي قيل عنها (٢) إنها كانت تروي عن علي ، وكان ينقل عنها مغيرة ابن مقسم الضبي ( الكوفي توفي عام ٧٥١/١٣٣ أو بعد ذلك بقليل ). لقد كانت تلك المرأة ، كما رأينا في مكان آخر (٣) ، زوجةً لعلي ، وعادت فتزوجت بعد وفاته ( في عام ٦٦٠/٤٠ ) . وزوجها لم يكن غير أبي يونس الآنف الذكر . وهو من مواليد الأوساط الفارسية الرفيعة . وكان قد انضم من قبل إلى بني تميم في البصرة (٤) . ومن المحتمل أن يكون

---

(*) نشر القسم الأول من هذا المقال في الجزء السابق ( مج ٥٣ ج ٢ ص ٢٧٩ )

(١) كل الآخرين كانوا يعيشون بالحجاز ( قارن ابن سعد ج ٥ ص ٤٠ س ١٠ ، وص ٥٢ س ٢٣ ، وص ٢٣٨ س ٢٤ ) .

(٢) ابن سعد ج ٨ ص ٣٥٦ س ٢٠

(٣) الذهبي « الميزان » رقم ١١٠٣٦

(٤) حتى إن المؤرخين العرب قد أخذوا بهذه العلاقة . فعند الذهبي ( الميزان =



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذاك « الملعون من بني عوانة » قد عـاش في نفس هذه البيئة ، وهو

= رقم ٣٦٣٤ ) وابن حجر الذي مشى على إثره ( لسان الميزان ج ٣ ص ١٣١ ) يذكر شخصاً يدعى سيسويه ( كما جاء عند ابن حجر وفي مخطوطة للميزان ) أو سسّويه ) كما جاء في مخطوطة أخرى « للميزان » صدرت عن سبط ابن العجمي ، ( توفي عام ١٤٣٨/٨٤ وبكلمة أخرى ، عن معاصر لابن حجر ) ، ويوصف بأنه زوج والدة موسى الأسواري . إن هذين الاسمين جاءا عن الأخبار الـتي كانت متداولة في بيئة الرواية التي كان البلخي والمقريزي على اتصال بها . أما لفظة « والدة موسى الأسواري » فقد استنتجت من عبارة أم موسى عنـد ابن سعد . وإنه لمن المشكوك فيه أن يكون هذا الاستنتاج صحيحاً . إنه في حدّ ذاته يبدو معقولاً : فموسى الأسواري كان قدرياً وكان معروفاً كذلك عند المعتزلة ( قارن « الميزان » رقم ٨٨٧٤ و٨٩٤٣ ، ابن المرتضى « الطبقات » ص ٦٠ س ١٣ وما بعده ) . إلا أنه توفي في أواسط القرن الثاني ولربما فيما بعد وكان يأخذ عن قتادة ( توفي عام ٧٣٥/١١٧ أو ٧٣٦/١١٨ ) ، وكان معاصراً لعوف الأعرابي ( توفي عام ٧٦٣/١٤٦ أو ٧٦٤/١٤٧ ) . ويعده ابن المرتضى في طبقة أبي الهذيل وبشر بن المعتمر والنظام وجميعهم توفوا في القرن الثالث . ففارق الزمن بينهم وبين معبد كبير . بالاضافة إلى ذلك ينبغي أن نعتبر أن ليس من ادعي « زوج أم موسى » يكون له من زوجته صبي يدعى موسى ، — ولا بـد أن يكون هذا الأمر ما افترضه الذهبي ، إذا اعتبر أن نسبة موسـى الاسواري تعود إلى أبيه أبي يونس الاسواري ، بل قد تكون الزوجة كنيت بأم موسى لأسباب أخرى . فهذا الاحتمال ينطبق بشكل أفضل على تلك التي كانت زوجة لعليّ سابقاً . ومما يجعلنا نحسب حساب الوقوع في الخطأ في هذه المرحلة المتأخرة من الروايات هو ان ابن حجر قد سمى أبا يونس الاسواري باسم يونس الاسواري فقط لاغير في مكان آخر ( « لسان الميزان » ج ٦ ص ٣٣٥ ) ؛ فالترتيب حسب الحروف الابجدية يدل على أن ابن حجر نفسه قد وقع في الخطأ وليس الناسخ أو مصفف حروف الطباعة في وقت لاحق . ومن جهة أخرى فإن الشهرستاني قد وقع في هذا السهو أيضاً ( قارن « الملل والنحل » ص ٣٥ س ٥ من تحت ، تحقيق Cureton ) وفي مكان آخر فإن يونس هذا قد ساواه ابن حجر بـ سيسويه / سسّويه . وقد اخطأ في كتابة الاسم فأصبح سيبويه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشخص الذي وصفه يونس بن عبيد بأنه الثالث في الرابطة . فبنو عوانة هم أيضاً إحدى قبائل بني تميم (١) . والمسألة الأصعب هي في التحقق من الاسم : فهو سنهويه عند ابن سعد وسنسويه عند البلخي والمقريزي . والمستندات الجديدة لا تساعد في تيسير هذه المسألة : فبدلاً من الشكلين السابقين يطالعنا ابن عساكر بشكل ثالث هو سنسويه . ويمكن قراءة الاسم على هذا الشكل بقدر ما يسمح بذلك الخط غير المنقّط تنقيطاً كاملاً – أو غير الواضح التنقيط على الأقل – . إلا أن ابن عساكر يشير إلى أن أبا داوود ( توفي عام ٢٧٥ / ٨٨٨ ) ، صاحب مجموعة الأحاديث المشهورة ، لم يشأ إلا أن يتلو الاسم بالتاء أي سُنْتويه . ومرة أخرى نجد الشكل الذي استعمله المقريزي في كتاب « خلق الأفعال » للبخاري (٢) . ويأتينا الذهبي وابن حجر ، كما رأينا (٣) ، بالأشكال الثلاثة التالية : سيسويه وسنّسويه وسيبويه . وفي طبعة كتاب « الشريعة » الآجري نقرأ الشكل الكامل المتفرخ وهو سيسفوه . أما في المخطوطة فنقرأ سيسفويه ، وهذا أقرب إلى الحقيقة إذا ما قيس بالشكل الآخر (٤) .

ولإيجاد الحلّ لا بد لنا من أن نثبت أياً من تصغيرات التحبّب هذه يمكن توضيحه توضيحاً لغوياً ، أو على أي منها يمكن العثور ، مرة

(١) قارن كحالة « معجم قبائل العرب » ص ٨٥٣

(٢) قارن علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبي « عقائد السلف » ص ١٦٧ س ٨

(٣) انظر الحاشية ٤ من الصفحة ٥٢٧

(٤) قارن ص ٢٤١ س ٦ من تحت والحاشية .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أخرى ، في غير هذه الروايات . وهنا يتضح لنا أن تلاوة أبي داوود لها ما يبررها . فهي تعطي للاسم مدلوله : فكلمة سستويه تعني إلى حد ما « المستضعف الصغير » . ومن المؤكد أن أبا داوود كان ملماً بالفارسية ، باعتباره من مواليد سجستان . ومع ذلك فإن شهادة الذهبي في كتابه « المشتبه » تناقض ذلك . فهو لا يعرف إلا اسمي سنويه وسسّويه(١). ولم يزد ابن حجر في كتابه « تبصير المنتبه » شيئاً إلى ذلك (٢) . كما أن المعلومات في « القاموس » (٣) وفي « تاج العروس » (٤) تقتصر على هذه المواد فقط . ولم يتوصل Noldeke إلى تفسير للاسمين يطمئن إليه ، وهو الذي عالج هذه الأشكال في دراسة لا تزال تعتبر مرجعاً إلى الآن (٥) . فهو يرى ، بالنسبة لسنويه ، أنه مشتق من سسنفروه أو سسنخره . ويستبعد صلته بـ « ساسان » لأنه من الأصح في هذه الحال أن يكون الشكل المشتق منه ساسويه وليس سنويه (٦) . أما بالنسبة لسسّويه ، فهو يرى له صلة بـ « سست » أي خامل (٧) . وهكذا

(١) « المشتبه » ص ٣٥٨ س ١١ وما بعده ( البجاوي ) هنا مع الحركات اللازمة

(٢) « تبصير المنتبه » ص ٦٨٠ س ١ ومابعده .

(٣) ج ٤ ص ٢٣٤ س ١٠ والذي يليه ، وج ٢ ص ٢٢١ السطر الثاني قبل الأخير وما يليه .

(٤) ج ٩ ص ٢٣٤ س ٢٢ وما يليه ، وج ٤ ص ١٦٧ س ٨ ومابعده .

(٥) Persische Studien فصل ١ في Sitzungsberichte, Wiener Akademie ١٨٨٨/١١٦ ص ٣٨٨ وما بعدها . قارن ايضاً W.Eilers في Acta Orientalia ١٩٥٦/٢٤ ص ٢٠٧ والتي تليها وص ٢١١ والتي تليها.

(٦) المرجع نفسه ص ٤٠٣ والتي تليها .

(٧) المرجع نفسه ص ٤٠٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يبدو أن هذا الشكل ليس إلا وجهاً آخر لـ « ستويه » الوارد عند أبي داوود . ولم يقف Nôldeke على الأشكال الأخرى مع أنه محّص مراجع أدبية عديدة ، كمادة لمجموعته . أما يوستي ( Justi ) فلم يتعدّه بحثاً في مؤلفه ( كتاب الأسماء الفارسي ) « Iranisches Namenbuch » .

بهذا نكون قد حصلنا على بعض المقاييس التي تسمح لنا بإلقاء نظرة أولى على مواد البحث . إن « رسم » الاسم ينطوي على كثير من التأويلات . وبالاضافة إلى ذلك يجب أن ننطلق من الواقع التالي ، وهو أن نساخ تلك النصوص المعنية لم يكونوا على معرفة جيدة بأشكال الأسماء الفارسية . فالوقوع في أخطاء نسخية كان أمراً غير مستبعد . ويمكننا أن نرى بالتأكيد في شكلي سيسفويه وسيسفوه المتفرّعين خطأً من هذه الأخطاء . وهذا أكيد بالنسبة لشكل سيسويه الذي ظهر فيما بعد ، بل وأكثر تأكيداً بالنسبة لسيبويه الذي لم يقرأ ( أو يطبع ) إلا بهذا الشكل عند ابن حجر . ويبدو الأمر صحيحاً أيضاً بالنسبة لسنسويه ، مع أن هذا الشكل ورد في زمن مبكر عند البلخي والبخاري . إن مخطوطات هذه المؤلفات لم تكن بأية حال قديمة كقدم تلك المؤلفات . ومن ناحية أخرى ينبغي أن ندخل في حسابنا أن الناشر الذي كان على علم بالشكل الوارد عند المقريزي فقط ... نقول إن ذلك الناشر بالذات قد علّل الشكل الذي اعتمده ، مستنداً عن قصد أو غير قصد ، إلى ما عرفه عند المقريزي . وهكذا فإن شكل سنهويه الوارد عند ابن سعد يبقى معزولاً . ويسهل علينا الآن الفصل بين شكل سنسويه أو شكل سستويه / سستّويه ، إذا ما رجعنا إلى قول الأوزاعي . يبدو لنا أن مؤلف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« القاموس » قد فهم سسنو يه على أنه تصغير تحبُّب لاسم سُوسن أو سَوسن [١] . ويجـــد في « تاج العروس » ، علاوة على ذلك ، ملاحظة ساخرة تقول إن الاسم لا يقرأ سَسنويه فحسب ، وإنما أيضاً سُسنويه [٢]. وهذا ممكن تماماً من الناحية اللغوية البحت . إن اختصار الصيغة المجردة في التصغير أمر شائع . من الحق أن المسألة بالنسبة للأمثلة التي عرفناها إلى الآن تتعلق بتشويه أول الاسم أكثر مما تتعلق بإدغامه [٣] . ولكن لا ننسى أنه قد ورد اسم أبّويه كاسم تحبب لعبد الله [٤] ، وحمّويه ( كصيغة أخرى لحمدويه ) لمحمد [٥] . وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار ماسبق فيكون الأوزاعي قد فعل ما فعله مؤرخ العراق بنقله الاسم على هـذا الشكل . لقد كان يقـدر ابن عون حق قدره [٦] . ويُظَنّ أنه اتصل به بطريقـة أو بأخرى . ومن المحتمل أن ينظر إلى قوله على أنـه جاء

---

(١) جـ ٤ ص ٢٣٤ س ١٠ والذي يليه .

(٢) جـ ٩ ص ٢٣٤ س ٢٢ تحت اسم سوسن .

(٣) قارن Noldeke المرجع نفسه ص ٤٠٨ والتي تليها .

(٤) قارن « الديوان » للصنوبري رقم ٣٥١ = ٣٩٤ السطر قبل الاخير ( إحسان عباس ) . إنني لا أرى ان يقرأ الاسم أبّويه حسبما يقول الناشر ، فهذا تركيب نحوي ولفظة أبّويه لها نفس الوزن . فيما يتعلق بالاسماء المشتقة من عبد الله قارن لفظة عبو الكردية لدى Noldeke ص ٤٠٧

(٥) قارن Noldeke ص ٤٠٩ وللتشديد قارن الذهبي « المشتبه » ص ٢٥٠ س ٩ ( البجاوي ) . قارن ايضاً اسم سمّويه المشتق من إسماعيل لدى Noldeke ص ٤٠٨

(٦) قارن يعقوب بن شيبة «مسند عمر » ( بيروت ١٣٨٩/١٩٦٩ ) ص ٥٦ س ٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

متأخراً ، لأنه - أي الأوزاعي - كان أصغر سناً من ابن عون وأصغر من يونس بن عبيد أيضاً (١) بالاضافة إلى أنه لم يكن من أصل عراقي. لقد نقل الاسم في صيغته المجردة ، تلك الصيغة التي كانت أقرب إليه(٢) من التصغير الفارسي نظراً لنشأته في بيئة آرامية . وعليه ، فإن شكل سنويه يبدو كأنه الصيغة الصحيحة . وبالرغم من مكانة أبي داوود الأدبية فان شكل سستويه يبقى ، حسب تقديرنا ، اقتراحاً للقراءة ينم عن ذكاء وتبصر ليس إلا" .

ويكمل الأوزاعي الروايات العراقية في نقطة واحدة : إنه يعرف الدوافع الدينية للملحد الفارسي . ومع ذلك فإنه عندما يعلن عنه أنه نصراني ، فإنما يفعل ذلك عن غاية في نفسه . وقصده لم يكن معبداً بقدر ما كان غيلان الدمشقي . فلا عجب إذاً ، أن يخالفه البخاري في ذلك : ففي الفقرة المذكورة من كتاب « خلق الأفعال »(٣) يرى هذا الأخير في سنويه / سنسويه مجوسياً اعتنق الاسلام . ويقول إن أهل البصرة قد انضموا إليه ، بينما لم يحذُ الحسن البصري حذوهم . والغاية هي نفسها هنا وهناك : إن الإلحاد في الاسلام مردّه إلى التأثيرات

(١) توفي عام ٧٧٤/١٥٧ عن عمر يناهز السبعين عاماً ( قارن EI ط . ثانية ، تحت الاسم المذكور ) .

(٢) قارن لفظة شوشنتا السريانية « زنبقة » وهذا هو معنى الاسم المقصود هنا ، مع أنه يعطى بصفة عامة للنساء .

(٣) انظر الحاشية ٢ من الصفحة ٣١٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الخارجية (١) . ومن الصعب البتّ في أي منهما على حق . فرواية البخاري هي أيضاً منقولة عن غيره . ولعله استنتج الانتماء الديني باستناده إلى تفسير الاسم : فصلة الأساورة بالمجوسية كانت صلة قريبة للعقل . لكنّ بني تميم الذين انضم الأساورة إليهم كانت بعض جماعاتهم تدين بالنصرانية (٢). وكانت الديانتان تُتّخذان كوسيلة للتنفير والترهيب في الدعايات الدينية . وجاء في حديث واسع الانتشار أن القدريين هم « مجوس هذه الأمة »(٣) كما جاء في حديث أقل انتشاراً من الأول « اتقوا القدر ، فإنه شعبة من النصرانية » (٤) . وتشير إحدى الملاحظات التي يؤكد أصحابها أنها

---

(١) من المعروف ان ذلك كان تصوراً سائداً . كذلك يرى الجاحظ ان معتنقي الإسلام الجدد هم الذين يدخلون الفرطقات فيه ( قارن « الرد على النصارى » Finekel ١٧ ) . ولربما يكون الجاحظ قد قصد بدعاً أخرى غير هذه. وحسب روايات المعتزلة فإن يوسف السمتي قد اخذ نظرية « التكليف بما لا يطاق» عن زنديق من واسط يدعى ضرير ( قارن القاضي عبد الجبار « المغني » ج ٨ ص ٤ س ٨ والذي يليه ) .

(٢) قارن EI ط . أولى في باب Tamīm

(٣) قارن بالاضافة إلى ذلك بحثي Zwisehen Hadīt Und Theologie ص ١٣٧ وما يليها .

(٤) قارن الذهبي « الميزان » ٩٠٢١ وكذلك بحثي المشار اليه في الحاشية السابقة ، ص ١٢٩ . للحصول على مواد أخرى المرجع نفسه ص ١٣٩ الحاشية رقم ٣١ ( وكذلك A. S. Tritton Muslim Theology ص ١٨ وما بعدها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نقلت عن الناسك والفقيه البصري مسلم بن يسار ( توفي عـام ١٠٠ / ٧١٩ ) [١] أن أي عراقي لم يكن قط يفكر بتأثير الزّرادشتيّة أكثر مما يفكر بتأثير النصرانية . فلقد جاء في تلك الملاحظة أن معبداً يتكلم كالنصارى [٢] . اذاً فقد يجوز لنا ، والحالة هذه ، أن نرجح قول الأوزاعي على غيره .

أما بالنسبة لابن عون ويونس بن عبيد ، فمسألة الدين لم تكن بعد واردة عندهما . وكل همهما كان أن ينالا من معبد بالتعرض لعلاقته بالأعاجم وبالموالي . ويظهر ذلك تماماً في اختيار العبارات التي استعملها ابن عون ولم تكن تلك العلاقات أمراً مستحيلاً على الاطلاق . فلقد شارك الأساورة بني تميم في الثورة ضد الحجاج [٣] . وكانوا يُعتبرون مفاوضين لامعين يحسب لهم حساب [٤] . إنما لم تكن تلك العلاقات أيضاً غير مألوفة في البصرة آنذاك . ففي أيام معبد ، أي بعد تأسيس المدينة بستين عاماً تقريباً ، كان الذين اعتنقوا الاسلام جديداً يشكلون بالتأكيد أكثرية فيها . ولذا فإن حملة القدح والذم التي شنها ابن عون وزميله في أيامها لم تعط

---

(١) قارن « الميزان » رقم ٨٥١٠

(٢) قارن كتاب « العلل » لابن حنبل ( انقرة ١٩٦٣ ) ص ١٧٥ رقم ١٠٨٤ ، و « تاريخ دمشق » ، كذلك « تهذيب التهذيب جـ ١٠ ص ٢٢٦ س ٦ وما بعده : ربيعة بن كلثوم بن جبر البصري عن ابيه ( توفي عام ٧٤٨/١٣٠ ، قارن « الميزان » رقم ٦٩٦٧ « تهذيب التهذيب جـ ٨ ص ٤٤٢ )

(٣) قارن A . Abd Discou , the Umayyad Caliphate لندن ١٩٧١ ص ١٦٧

(٤) قارن وكيع « اخبار القضاة » ج ١ ص ٣٤٥ س ١ وما بعده .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نتيجة تذكر . فأغلبية سكان المدينة كانت آنذاك تقول بالقدرية (١) . كما أن مكانة معبد كانت لا تزال صامدة بعض الشيء . وفي النصف الأول من القرن الثاني ، عندما طُرِدَ الأباضي حمزة الكوفي من الجماعة البصرية لهذا المذهب بسبب ميوله القدرية ، وُصِف بأنه من أتباع غيلان الدمشقي (٢). ولم يرِدْ اسم معبد ولا حتى اسم سنسويه على الاطلاق (٣) .

* * *

وها نحن نؤيد قولنا بدليل آخر . من الواضح أنه يمكننا أن نعود إلى البصرة ، إلى تلك المرحلة من تاريخها ، حيث نجد معبداً وقد كوّن لنفسه فيها مكانة طيبة . إلا أننا لا نعثر على أثرٍ للفارسي الذي ضلله. يروي بعضهم ، وهو يحيى بن يعمر ، حديثاً معروفاً ، فيقول فيه : « كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني . فانطلقت أنا وحميد بن عبد

---

(١) أيضاً Zwichen Hadlit uud Theologie ص ٦١ وما يليها .

(٢) قارن كتاب « السير » للشماخي ( القاهرة ١٨٨٦ ) ص ٨٤ السطر قبل الأخير وما بعده ، و EI ط . ثانية ، باب Ibadiyya

(٣) لقد صرف النظر هنا عن الرواية المدنية التي لمحنا إليها بصورة عابرة فيما سبق ، وفيها يوصف معبد بأنه أول القدريين في المدينة ( قارن الحاشية ٣ ص ٢٨٤ من هذا المقال ) . ويظهر أنها تأثرت بالطريقة التي صاغ بها ابن عون قوله فأصبحت بالتالي ثانوية . ومن المحتمل أن يكون أبو ضمرة أنس بن عياض من أهل المدينة والمذكور في الإسناد مسؤولاً عنها ، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الزمن الذي عاش فيه ( مابين ٧٢٢/١٠٤ و ٨١٥/٢٠٠ ) . لقد لعب هذا الرجل أيضاً دوراً لا يستهان به في نشر الأخبار المعادية للقدرية في مسقط رأسه ( قارن Zwischen Hadit urnd Theologie في الفهارس تحت الاسم المذكور ) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الرحمن الحميري حاجّين — أو معتمرين — فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر . فوفّق لنا عبد الله ابن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله ، فظننت أن صاحبي سيكِل الكلام إليّ ، فقلت : أبا عبد الرحمن ، إنه قد ظهر قِبَلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفّرون العلم . وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنُف[1] . قال فإذا لقيتَ أولئك فأخبِرْهم أني بريء منهم وأنهم بُرآء مني . والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحُد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر[2] ، ثم قال : حدثني أبي عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر للسفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه[3] ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام ... » .

ويمكننا أن نتوقف عند هذا الحد : يجيب النبي فيسترسل في تفسير

---

(١) ملاحظة لأحد الرواة المتأخرين . قارن Zwischen Hadit und Theologie ص ٤٨ فيما يتعلق بوصف مذهب القدرية المذكور هنا .

(٢) إن هذه الجملة ليست سوى تصور سائد ، وكثيراً ما استعملت في أمكنة أخرى ضد القدريين ( قارن الآجري « الشريعة » ص ١٨٧ س ٤ من تحت ، و ص ٢٠٣ س ٧ وما قبل الأخير ) . لقد كان الناس يشعرون بالحرج من تقوالهم .

(٣) حركة تدل على الإصغاء والتعلم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تعاليم الإيمان موضحاً مفاهيم الإسلام والإيمان والإحسان ومحدداً كلاً منها ومعلناً في جملة ما يعلنه أن الإيمان بالقدر خيره وشره هو من عقيدة الإسلام (١) . ويؤكد الرسول أنه تبين له فيما بعد أن ذلك الزائر الغامض لم يكن غير جبرائيل (٢) .

يشتمل هذا الحديث على شطرين : الشطر الرئيسي ، والتوطئة التي تروي الحكاية ( وهي التي أدرجت هنا بالدرجة الأولى ) ، هذه الحكاية التي يتداخل فيها اسما الراوي الأول عبد الله بن عمر والراوي الثاني يحيى ابن يعمر . ويوصلنا الإسناد إلى عبد الله بن بريدة ، أحد القضاة في مرو ، وقد توفي في عام ١١٥/٧٣٣ (٣) . ومن ثم يؤدي بنا إلى البصرة حيث نقع عليه عند اثنين من الحفاظ ، دون اختلاف جوهري في متنه . هذان الاثنان هما الناسك كهمس بن الحسن ( توفي عام ١٤٩ / ٧٦٦ ) (٤) ، ومطر الورّاق ( توفي عام ١٣٠/٧٣٧ ) ، أحد خصوم عمرو بن عبيد(٥).

---

(١) « أن تؤمنوا بالقدر خيره وشره » . قارن Zwischen Hadit Und Theologie ص ١١٩ فيما يتعلق بهذه العبارة .

(٢) قارن « صحيح » مسلم ، كتاب الإيمان ١

(٣) قارن الذهبي « تذكرة الحفاظ » ص ١٠٢ رقم ٩٥ ، وكيع « أخبار القضاة » ج ٣ ص ٣٠٦

(٤) كما عند مسلم « الإيمان ١ » ، وفيما يتعلق بكهمس قارن الذهبي « الميزان » رقم ٦٩٨١

(٥) كما جاء عند مسلم « الإيمان ٢ » ، مع مقدمة مختلفة بعض الشيء ؛ قارن أيضاً الآجري « الشريعة » ص ٢٠٤ س ٥ من تحت ، بالنسبة لمطر قارن « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ١٧٦ ومابعدها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولربما جاز لنا أن نفترض ، ولو إلى حين ، أن تاريخ وفاة الورّاق هو بمثابة نقطة بداية : فإن الرواية القائلة أن معبداً هو مؤسس القدرية كانت قد أطلقت في البصرة قبل عام ١٣٠/٧٤٧ ، وذلك بعد فتنة ابن الأشعث بزمن بعيد ، ولربما أيضاً بعد وفاة الحسن البصري ( ١١٠/٧٢٨ ) . ومرة أخرى نرانا نقترب من عهد يزيد بن الوليد . إلا أن هذا التاريخ يتجاوز ذلك الماضي الذي رويت فيه حكاية سسنويه المرتدّ . وهكذا فإن ما كان ظناً واحتمالاً لدى معالجتنا شكل الرواية يصبح أكيداً لدى مراجعتنا الإسناد. ويمكننا توضيح ذلك توضيحاً أتم وأكمل .

إن هذا لا يعني أن الحديث كله قد زُيّف في البصرة في ذلك الزمن . فبصورة عامة تتطور الأحاديث بشكل أكثر تعقيداً مما نتصور (١) . والظاهر أن التوطئة التي يُذكر فيها معبد ، إنما أضيفت إلى الحديث فيما بعد . ويمكن التدليل على ذلك بتحليل مضمونه . فليس المقصود من الحديث بحد ذاته التشديد على تعاليم القضاء والقدر بالدرجة الأولى . صحيح أن الحديث يذكر تقدير الخير والشر ، ولكنه يذكره مع غيره من العقائد الاسلامية ولا يأتي مطلقاً في نقطة تسترعي الانتباه بصورة خاصة . فالناس لم يقفوا هذا الحديث نظراً إلى إشارته إلى هذه المسألة الدينية ، وإنما وجدوا فيه في وقت لاحق وسيلة مفيدة لطرح هذه المسألة على بساط

---

(١) أعود هنا إلى بعض ماذكرته في بحثي Zwischen Hadit und Theologie في معالجة موضوع آخر ( ص ٤٧ وما يليها ) . بالنسبة للطريقة المتبعة هنا التي تبدو بديهية بعض الشيء والتي تنقصها الأمثلة لتصبح أكيدة ، أرجو الاطلاع على ما قلته في البحث المذكور .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

البحث . ويتأكد ذلك إذا ما قارنا بين المصادر . لقد ورد هـذا الحديث مراراً وتكراراً ، وذلك لتميزه بطابع تعليمي ديني ، على ما يظهر . إلا أن التوطئة قد سقطت من أكثر الروايات ، وإذا ظهرت فإنما دون الاشارة إلى معبد . وهذا ما لدينا من المصادر نعرضه بإيجاز لأخذ نظرة عامة عنه :

هناك أولاً صيغ الرواية التي وردت دون الأشارة إلى التوطئة المذكورة أعلاه . وإحداها (١) تعود بنا إلى كهمس ، كتلك التي عالجناها إلى الآن ، وعليه فقد كانت معروفة في البصرة . نقلت عن محمد بن جعفر البصري المعروف باسم غندر ( توفي عام ٨٠٨/١٩٢ أو ٨١٠/١٩٤ ) (٢)، وعن يزيد بن هارون الواسطي ( عاش بين عامي ٧٣٥/١١٧ أو ٧٣٦/١١٨ و٨٢١/٢٠٦)(٣) وكذلك نقلت عن وكيع بن الجراح (عاش بين عامي ٧٤٦/١٢٩ و٨١٢/١٩٧ ) (٤) والذي يرد عند مسلم كثقة للصيغة الموسعة . وإلى جانب هذا ، فقد وردت أسانيد مختلفة تمام الاختلاف ليس لها أصول في البصرة. كتلك الذي ذكرها البخاري (٥) وابن ماجه (٦) والنسائي (٧) ، وهي على

---

(١) « مسند » ابن حنبل ج ١ ص ٥١ س ٩ من تحت وما بعده ، وج ١ ص ٣١١ والتي تليها رقم ٣٦٧ وما بعده ، ابن ماجه « المقدمة » ٩ رقم ٦٣

(٢) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٩ ص ٩٦ وما بعدها

(٣) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١١ ص ٣٦٨

(٤) قارن Sezgin GAS ٩٦/١ والتي تليها .

(٥) « الإيمان » ٣٧ وتفسير سورة لقمان ٢

(٦) « المقدمة » ٩ رقم ٦٤

(٧) « الإيمان » ٣ ( = ج ٢ ص ٣٦٦ س ٣ وما بعده ) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الوجه التالي : أبو هريرة ( توفي عام ٦٧٩/٥٩ ) ﴿ أبو زرعة ( ابن عمرو ابن جرير الكوفي ) [١] ﴿ أبو حيان التيمي ( يحيى بن سعيد الكوفي ، توفي عام ٧٦٢/١٤٥ ) [٢] وكذلك أبو فروة ( عروة بن الحارث الكوفي ) [٣] ﴿ إسماعيل بن عليّة ( = إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم البصري ، عاش بين عامي ٧٣٤/١١٦ و ٨٠٩/١٩٣ ) [٤] وكذلك جرير ( ابن عبد الحميد الرازي ، من مواليد الكوفة ، توفي عام ١٨٨ /٨٠٤ ) [٥] .

وهناك إسناد آخر عند ابن حنبل [٦] : ابن عباس (توفي ٦٨٧/٦٨) ﴿ شهر ابن حوشب ( الشامي ، توفي عام ٧٢٩/١١١ أو عام ٧٣٠/١١٢ ، وبعضهم يقول بالاستناد إلى روايات مشوهة ؟ — إنه توفي عام ٧١٨/١٠٠ ) [٧] ﴿ عبد الحميد ( ابن بهرام الفزاري المدائني [٨] ﴿ أبو النضر ( هاشم بن القاسم

---

(١) قارن « تهذيب التهذيب » جـ ١٢ ص ٩٩ والتي تليها .

(٢) قارن « تهذيب التهذيب » جـ ١١ ص ٢١٤ والتي تليها .

(٣) قارن « تهذيب التهذيب » جـ ٧ ص ١٧٨ والتي تليها .

(٤) قارن ابن النديم « الفهرست » ص ٢٢٧ س ١٤ ومابعدها ( Flügel ) .

(٥) قارن « تهذيب التهذيب » جـ ٢ ص ٥٠ ومابعدها .

(٦) « المسند » جـ ١ ص ٣١٨ س ٤ من تحت ؛ وجـ ٤ ص ٣٣٣ والتي تليها رقم ٢٩٢٦ م

(٧) قارن « تهذيب التهذيب » جـ ٤ ص ٣٦٩ وما بعدها ، « الميزان » رقم ٣٧٥٦

(٨) قارن « تهذيب التهذيب » جـ ٦ ص ١٠٩ والتي تليها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الخرساني ، عاش بين عامي ١٣٤/٧٥٢ و ٢٠٧/٨٢٣ )[١] .

وهناك إسناد آخر نجده عند ابن حنبل[٢] يعود بنا إلى شهر بن حوشب الذي كان له بعض الشأن عند أهل البصرة خاصة ، ويعتبره غيرهم ضعيفاً[٣] .

لقد جاء هذا الاسناد مشوهاً في مطلعه : عامر أو أبو عامر أو أبو مالك ﴾ شهر بن حوشب ﴾ عبد الله بن ( عبد الرحمن ) أبي حسين ( المكي )[٤] ﴾ شعيب ( بن أبي حمزة الحمصي ، توفي عام ١٦٢/٧٧٩ أو ١٦٣/٧٨٠ )[٥] . وأخيراً نجد عند ابن حنبل[٦] جزءاً من حديث فيه تفسير لمفهوم الايمان فقط ، مقرون ببعض الأمثلة . وهو يعتمد كذلك على إسناد كهمس الذي كان نقطة انطلاقنا .

إلى جانب ذلك نقع على نص يقتصر على تحديد مفهوم الإيمان أيضاً ، ولكنه يختلف في صياغته ؛ وقد اشتمل على توطئة للقصة تختلف أيضاً تماماً عن تلك التي نعرفها . أما الأسانيد فتختلف هي أيضاً بدورها عن تلك التي رأيناها ، وهي على الوجه التالي : ابن عباس ﴾ أبو غمرة ( نصر

---

(١) قارن الذهبي « تذكرة الحفاظ » ص ٣٥٩ رقم ٣٥٠

(٢) « المسند » ج ٤ ص ١٢٩ س ١٥ وما بعده ، وكذلك ج ٤ ص ١٦٤ س ٥ وما بعده .

(٣) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٦ ص ١١٠ س ٦ من تحت والذي يليه .

(٤) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٥ ص ٢٩٣

(٥) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٤ ص ٣٥١ والتي قبلها .

(٦) « المسند » ج ١ ص ٢٨ س ٩ من تحت والذي يليه ، وج ١ ص ٢٣٨ رقم ١٩١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن عمران الضبعي البصري ، توفي عام ١٢٨/٧٤٦ ) [١] ﴾ شعبة بن الحجاج ( من مواليد البصرة ، توفي عام ١٦٠/٧٧٦ ) [٢] . وفي مكان آخر نجد الإسناد التالي : جرير بن عبد الله ( البجلي ، نزيل الكوفة ، توفي عام ٥٤/٦٧٤ ) [٣] ﴾ زاذان ( أبو عبد الله الكوفي ، توفي عام ٨٢/٧٠١ ) [٤] ﴾ أبو جناب ( يحيى بن أبي حية الكوفي توفي عام ١٥٠/ ٧٧٦ ) [٥] .

وأخيراً نقع على حديث ليس له قرابة مباشرة بحديثنا ، وهو يضيف إلى كل من مفهومي الايمان والإسلام ملاحظة عن سبل تحقيقها أفضل تحقيق ( أيّ الإيمان أفضل ؟ ) . وهذا الحديث يظهر بمظهرين مختلفين ، أحدهما طويل والآخر قصير . وليس الأسانيد التي يرتبط بها من صفات مشتركة إلا أولها فقط : عمرو بن عبسة ( السلمي ، وهو من أهل الشام [٦] ) ﴾ أبو قلابة ( عبد الله بن زيد الجرمي ، توفي عام ١٠٤/

(١) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٤٣١ والتي تليها .

(٢) قارن GAS ٩٢/١ . إن الإسناد المذكور موجود عند ابن حنبل ج ١ ص ٢٨٨ س ١٠ من تحت وما بعده ، وج ٣ ص ٣١٨ والتي تليها رقم ٢٠٢٠ ، وعند أبي داود « السنّة » ١٥ ( = ج ٢ ص ٢٦٩ س ١٢ وما بعده ) .

(٣) قارن ابن عبد البر « الاستيعاب » رقم ٣٢٢

(٤) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٣ ص ٣٠٢ والتي تليها .

(٥) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١١ ص ٢٠١ وما بعدها . إن الإسناد المذكور موجود عند ابن حنبل ج ٤ ص ٣٥٩ س ١٠ وما بعده .

(٦) قارن ابن عبد البر « الاستيعاب » رقم ١٩٣٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٧٢٢ ) [١] ﴿ أيوب ( ابن أبي تميمة السختياني البصري ، توفي عام ١٣١/٧٤٨ [٢] ﴿ معمر ( بن راشد ، توفي عام ١٥٤/٧٧٠ ) [٣] . والإسناد الثاني هو على الوجه التالي : عمرو بن عبسة ﴿ شهر بن حوشب [٤] ﴿ محمد بن ذكوان ( البصري ) [٥] ﴿ الحجاج بن دينار ( الواسطي ) [٦] . وهذا يعني أن المواد التي بين أيدينا هي في معظمها عراقية المصدر وغالباً ما تلتقي الأسانيد في البصرة أو في الكوفة ، وذلك على الرغم من التباين الشديد فيما بينها . إلا أن أحدها ، وقد ورد وفي مطلعه تشويه يستعصي تصحيحه ، فقد ضل عن طريقه وحلّ في مكة ومن ثمّ توجه إلى حمص . وهكذا نرى كيف كان الرواة يختلفون في هذه الرواية . وهي لم تتخذ صيغتها النهائية إلا بعد مرور ردح من الزمن .

ويختلف الأمر بالنسبة لتلك الروايات التي تبدأ بمقدمة معادية للقدرية . فالشطر الرئيسي قد استقر على تلك الصيغة التي انطلقنا منها . وفيها يبرز اسم يحيى بن يعمر على الدوام في كل إسناد . أما التباين فلا يظهر إلا في

---

(١) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٥ ص ٢٢٤ ومابعدها .

(٢) قارن GAS ٨٧/١ والتي تليها .

(٣) قارن GAS ٢٩٠/١ والتي تليها . إن الإسناد المذكور موجود عند ابن حنبل ج ٤ ص ١١٤ س ٨ ومابعده .

(٤) انظر الحاشية ١ ص ٢٩٧ والحاشية ٧ ص ٥٤١ والحاشية ١ ص ٥٤٢ الحواشي ٦٩ و ١٩٨ و ٢٠١

(٥) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٩ ص ١٥٦ والتي تليها .

(٦) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٢ ص ٢٠٠ والتي تليها . إن الإسناد المذكور موجود عند ابن حنبل ج ٤ ص ٣٨٥ س ١٩ ومابعده .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المقدمة نفسها . لقد رأينا أن اسم معبد كان قد ذكر في اثنتين من صيغها. وأما في الأخرى فلا يؤتى على ذكره . وفي كلٍّ من الصيغتين يأتي الكلام عن القدريين بصورة عامة فقط . فلقد وردت في إحدى الجمل عبارة مقتضبة جداً مفادها أن الحديث مع عبد الله بن عمر أتى على ذكر القدر. فيحيى بن يعمر ورفيقه قد أوردا خلاصة الحديث (١) ، تماماً كما فعل أحد الرواة بشأن صيغة النص (٢) التي أوردناها . ويسوق الإسناد الرواية من يحيى إلى عبد الله بن بريدة ، ومنه إلى أحد أبناء بلده عثمان بن غياث الراسبي من المرجئين (٣) ، وليس إلى كهمس . وفي مكان آخر يخبر يحيى عبد الله بن عمر أنه هو ورفيقه التقيا ببعض القدريين أثناء سفرهما (٤) . والسند في هذه الرواية ليس عبد الله بن بريدة ، وإنما أخوه التوأم سليمان ( توفي عام ١٠٥/٤ – ٧٢٣ ) ، وكان يعتبر موضع ثقة أكثر من أخيه (٥)،

(١) قارن ابن حنبل ج ١ ص ٢٧ س ٥ ومابعده ، وج ١ ص ٢٣٣ والتي تليها رقم ١٨٤ ، « سنن » أبي داود ، « كتاب السنة » ، باب في القدر رقم ٦ ( = ج ٢ ص ٢٧١ س ٨ من تحت ومابعده ) . وربما كانت هذه الرواية هي نفس رواية مسلم في « كتاب الإيمان ٣ » .

(٢) انظر الحاشية ١ ص ٥٣٧

(٣) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٧ ص ١٤٦ والتي تليها ، والميزان رقم ٥٥٥١

(٤) قارن ابن حنبل ج ١ ص ٥٢ س ٨ من تحت وما بعده ، وج ١ ص ٣١٤ رقم ٣٧٤ ، الصيغة نفسها مع بعض التوسيع ج ١ ص ٥٣ س ٦ ومابعده ، وج ١ ص ٣١٥ رقم ٣٧٥

(٥) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٤ ص ١٧٤



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد نقل الخبر إلى علقمة بن مرثد ، معلم أبي حنيفة ( توفي قبل عام ١٢٠/٧٣٨ بقليل ) [١] . لذا فلا عجب إذا ما عثرنا على الرواية في المسند لأبي حنيفة أيضاً [٢] . وهي هنا تعرض الوقائع بشكل أوسع بعض الشيء . زد على ذلك ميزة ثانية لهذا النص وهي أن يحيى بن يعمر قد سلمه مباشرة إلى علقمة بن مرثد .

ونعثر أخيراً على نص فيه تلميح إلى البصرة ، إلا أنه لا يشير إلى مذهب معبد وإنما إلى مذهب آخر ، وأغلب الظن أنه لا يت إلى معبد بصلة . وفيه يقول يحيى بن يعمر : « إن عندنا رجالاً يزعمون أن الأمر بأيديهم ، فإن شاؤوا عملوا وإن شاؤوا لم يعملوا » [٣] . وهذا موقف لم يكن معروفاً إلا في عهد عمر بن عبد العزيز [٤] ، وقد أخذته المعتزلة فيما بعد . فالحسن البصري – ولربما أيضاً معبد الجهني – لم يكن بعد قد

---

(١) عند نهاية حكم خالد القسري . قارن « تهذيب التهذيب » ج ٧ ص ٢٧٨ والتي تليها .

(٢) تحقيق صفوت السقاء ( حلب ١٣٨٢/١٩٦٢ ) رقم ١ ، ذكر هذا الخبر في كتاب « الآثار » للشيباني . ( طباعة حجرية لكنو ١٨٨٣ ) ص ٦٧ س ٥ وما بعده .

(٣) قارن ابن حنبل « المسند » ج ٢ ص ١٠٧ س ١٤ وما بعده ، وج ٨ ص ١٦٦ رقم ٥٨٥٦

(٤) قارن مقالتي في Abr Nahraia ١٩٧١/١٢ ص ١٩ وما بعدها وكتابي Anfange Muslimischer Theologie ( بيروت ١٩٧٧ ) ص ١١٣ وما يليها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فكّر مثل هذا التفكير [١] . وإن الإسناد ينتقل من يحيى إلى علي بن زيد ( البصري ، توفي عام ٧٤٧/١٢٩ أو عام ٧٤٩/١٣١ ) [٢] ، ومن هذا الأخير إلى حمّاد بن سلمة ( توفي عام ١٦٩ / ٧٨٦ ) ، أحد أسس أهل السنة في البصرة [٣] . لقد كان دور علي بن زيد كمحدث موضع خلاف ، ويقال عنه إنه حرّف بعض الأحاديث ، أضف إلى ذلك أنه كان شيعياً متطرفاً . وقد عرف عنه أنه ينقل الأحاديث عن ابن عمر مباشرة ، وهذا يتلاءم تماماً مع ما نحن بصدده ، ويذهب ابن عساكر المذهب نفسه في نقله الخبر على هذه الصيغة دون غيرها في كتابه « تاريخ دمشق » ، إنما مع فارق واحد وهو أنه ينسب إلى معبد مباشرة تلك النظرة التي وردت أعلاه ، فيقول عنه : « يزعم أن العمل أنف ، من شاء أحسن ومن شاء أساء » [٤] . ومسؤولية ذلك تقع على سليمان بن طرخان التيمي ، وهو أيضاً أحد خصوم عمرو بن عبيد المعروفين [٥] . فلقد أبلغ الخبر إلى ابنه معتمر بن سليمان ( توفي عام ٨٠٣/١٨٧ ) الذي عرف بإيراده أحاديث معادية للقدرية [٦] . وهكذا يتبين لنا أن التوطئة لم تستقر في صيغة ثابتة

---

(١) قارن M. Schwarz في Oriens ١٩٦٧/٢٠ ص ٦٢

(٢) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٧ ص ٣٢٢ وما بعدها .

(٣) قارن Zwischen Hadit und Theologie ، فيما يتعلق بدوره في الخلاف حول القدر ( ص ١١٢ — ١١٤ )

(٤) بالنسبة لهذه العبارة راجع ما تقدم من هذا المقال .

(٥) قارن Trad. Polemik ص ٣٩ وما بعدها .

(٦) قارن Zwischen Hadit und Theologie في الفهارس تحت الاسم المذكور .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مطلقاً ، ومن الواضح أن كل مخبر كان يشعر بحرية في سرد الخبر ، فكان ينوعه حسب الظروف والمقاصد منتهجاً في ذلك نهج « رواية بالمعنى » ، أو يسرده مقتضباً كما جاء في صيغة عثمان بن غياث .

ولكن مهما كانت صيغة تلك الرواية في تفاصيلها ، فإن مصدرها كان يحيى بن يعمر في جميع الحالات ، فهو إنما يروي حادثة وقعت له . وترانا مضطرين إلى التساؤل عن مدى الحقيقة التاريخية التي تختبىء وراءها. يزعم البغدادي (١) أن يحيى بن يعمر قد وضع « رسالة في ذم القدرية » . أما يصح ، والحالة هذه ، أن نرى في المقدمة التي نعالجها هنا مدخلاً إلى تلك الرسالة ؟ — وذلك طبعاً في صيغتها الأقل اتساماً بصيغة معينة — إن الأمر لا يبدو مستحيلاً . غير أن هذا لا يعني أن تلك الرسالة كانت أصلية . ولكي نبت في أصالتها لا بد لنا من أن نتفحص عن كثب الشخصين الآخرين اللذين لعبا دوراً في الرواية . والأمر يستدعي لذلك نشوء سلسلة من المعضلات .

إن عبد الله بن عمر الذي يدّعي يحيى بن يعمر أنه تكلم معه ، قد توفي في عام ٦٩٢/٧٣ ، أي قبل إعـــدام معبد الجهني بعشر سنوات . وقد وردت عنه في أكثر من مكان أقوال معادية للقدرية (٢) ومن غير

---

(١) « أصول الدين » ص ٣١٦ س ١٢ والذي يليه .

(٢) قارن Zwischen Hadit und Theologie في الفهارس تحت الاسم المذكور . يروى عنه أنه نبه معبداً أيضاً إلى عدم الشرود في دقائق دينية وعندما سأله معبد مرة عما يحدث لإنسان يفعل كل ما يتصوره العقل من شـــر ولكنه ينطق بالشهادة ، نصحه ابن عمر ألاّ ينزلق هذا المنزلق الخطر ( بالمثل =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المستبعد أن تكون تلك الروايات قد جاءت متأخرة ، إلا أنها نسبت إلى جيل سابق . فمن الثابت ان بعض القدريين كانوا قد ظهروا في تلك الأيام أي في منتصف خلافة عبد الملك ، ولكن ليس من الواضح إذا كان الناس قد أدركوا جيدًا تعاليمهم . ومما يحملنا على عدم الأخذ بهذا هو مركز معبد المرموق لدى بلاط الخليفة الذي يوافق في تاريخه الحقبة التي نحن بصددها . كما أن القدريين أنفسهم كانوا لا يزالون يؤكدون أنهم لا يريدون أن يأتوا بأمور تغير مجرى الأحداث : فلقد جاء في رسالة الحسن البصري إلى عبد الملك — والتي كتبها بعد وفاة ابن عمر (١) — ، أنه لا يعبر إلا عن مبادىء متعارف عليها (٢) . إلا أنه من الممكن أن نستشف من هذا القول تلك الحقيقة السائدة ، وهو أن الصراع من أجل شهادة الأقدمين كان قد بدأ بالفعل . فأحد المثل العليا كان إذ ذاك ، ألا يقال قول جديد . وهكذا نرى أنه من غير الممكن لنا أن نصل إلى برهان قاطع من هذه الناحية .

---

= القائل : عش ولا تغتر . قارن الميداني « الأمثال » ، تحقيق Freytag ج ٢ ص ٩٢ ، الزمخشري « المستقصى » ج ٢ ص ١٦٢ رقم ٥٥٠ ) . إن النتيجة الحتمية التي يمكن أن تلحق بالقدري — أو بالمعتزلي على الأقل — هي أن مثل هذا الإنسان نصيبه النار ، إلا أنه لم يؤت على ذكرها هنا عن قصد . وفي هذا يجب أن نرى مغزى الحكاية ( قارن « تاريخ دمشق » ) .

(١) إنما كتبت بتدبير من الحجاج ، لكن هذا الأخير لم يصبح حاكماً للعراق إلا في عام ٧٥/٦٩٤

(٢) قارن Der Islam ٢١/١٩٣٣ ص ٦٨ س ٩ ومابعده .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن ناحية أخرى فإن حميد بن عبد الرحمن الحميري ، رفيق يحيى ، لا يجدينا نفعاً هو الآخر . ففي بعض الصيغ لا يعطى اسمه أو لا يؤتى على ذكره قط . ومع ذلك فلا يمكن اعتباره مجرد اختلاق . فهذا الأمر يبدو غير معقول ، حتى ولو كانت الرواية مزورة . فها نحن نجده في مقطع للطبري يخبرنا فيه عن الأحداث التي جرت عند موت النبي [١]. ويذكره النظّام بصدد قصة يقال إنها جرت أثناء خلافة علي [٢] . وفي « التاريخ » لخليفة بن خياط يرد اسمه كمحدّث لأحد الصحابة [٣] ، عندما تولّى يزيد ابن معاوية الخلافة في عام ٦٠ / ٦٨٠ ؛ إلا أنه لم يكن هو نفسه من الصحابة . ويعدّه ابن سعد في عداد التابعين من أهل البصرة [٤] . ولقد توفي في الوقت الذي توفي فيه معبد تقريباً ، أي بعد عام ٨٠/٦٩٩ ) [٥] . لذا فروايته التي جاءت عند الطبري لا تعتمد على شهود عيان . فلا غرابة ، إذا ما اعتبرنا ما تقدم ، أن يظهر في محيط الحسن البصري [٦] . لقد كان فقيهاً بالدرجة الأولى ، ويقال إنه لم يكن في البصرة أفضل منه في السنوات

---

(١) « تاريخ » الطبري ج ١ ص ١٨١٨ س ٩ ومابعده .

(٢) قارن بحثي في كتاب النكث للنظام ص ٧٨

(٣) « التاريخ » ص ٢٥٧ س ٥ ( زكّار ) .

(٤) « الطبقات » ج ٧ ، ١ ص ١٠٧ س ١ ومابعده .

(٥) قارن خليفة بن خياط « التاريخ » ص ٤٠١ س ٢ ، « الطبقات » ٤٨٧ رقم ١٦٦٢

(٦) قارن الحكاية عند حمزة الأصفهاني « التنبيه على حدوث التصحيف » ص ١٢٣ س ٣ ( طلس ) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العشر الأخيرة من حياته [١] . ويحفظ وكيع في « أخبار القضاة » حكماً من أحكامه [٢] . وكانت ابنته أم أبي بكر الهذلي ، النحوي البصري [٣] . وينسب مبرّد أحدَ أحفاد يحيى إلى يحيى هذا بعينه [٤] . وهكذا يبدو أنه كان لا يزال معروفاً معرفة جيدة حتى في الأزمان المتأخرة ، غير أننا لا نعرف شيئاً عن آرائه في علم الكلام .

لا يبقى لنا ، والحالة هذه ، إلا يحيى بن يعمر نفسه . لكن الصعوبات لا تابث أن تبدأ بتاريخ وفاته . فالمرزباني يحدده في عام ٨٣/ ٧٠٢ [٥] . أما خليفة بن خياط فلا يحدده بالضبط ، وإنما يجعله في السنوات العشر ما بين عامي ٨٠/٦٩٩ و ٩٠/٧٠٢ [٦] ، تماماً كما يفعل بتاريخ وفاة كل من معبد وحميد بن عبد الرحمن . أما « طبقات النحويين » فإنها تعتمد على العام ١٢٩/٧٤٧ [٧] ، بصرف النظر عن المرزباني . ويبدو لنا

---

(١) قارن ابن سعد « الطبقات » ج ٧ ، ١ ص ١٠٧ س ٤ ، الشيرازي « طبقات الفقهاء » ص ٨٨ س ٥ من تحت ( عباس ) حسب رأي ابن سيرين ( توفي عام ١١٠/٧٢٩ )

(٢) « أخبار القضاة » ج ١ ص ٣٠٧ س ١٠ ومابعده .

(٣) قارن المرزباني « نور القبس » ص ٤٠ س ٢ والذي يليه (Sellheim)

(٤) « الكامل » ص ٨٨١ س ٥ والذي يليه ( مبارك ) .

(٥) « نور القبس » ص ٢٢ السطر الأخير .

(٦) « تاريخ » خليفة ص ٤٠١

(٧) قارن الزبيدي « طبقات النحويين ص ٢٣ السطر الأخير ( أبو الفضل)، ياقوت « الإرشاد » ج ٧ ص ٢٩٧ س ٣ ( Margoliouth ) ، ابن خلكان « الوفيات » ج ٥ ص ٢٢٤ س ١٢ ( عبد الحميد ) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أن هذا التاريخ خطأ متوارث ، فجميع الذين خلفوا يحيى والمذكورين في الأسانيد التي اطلعنا عليها حتى الآن قد توفّوا قبل هذا التاريخ أو بعده بزمن قصير لا يكاد يذكر : فعبد الله بن بريدة توفي عام ١١٥/٧٣٣، وأخوه سليمان عام ١٠٥/٤ - ٧٢٣ ، وعلقمة بن مرثد حوالي عام ١٢٠/ ٧٣٨ ، وعلي بن زيد الذي نقل الصيغة « الحديثة » توفي عام ١٢٩/٧٤٧ أو عام ١٣١/٧٤٩ . وفي عام ١٣١/٧٤٩ توفي منافسه إسحاق بن سويد . وفي مكان آخر نقع على قتادة الذي يستشهد بيحيى (١) ، وقد توفي عام ١١٧/٧٣٥ أو عام ١١٨/٧٣٦ . ويقول خبر جاء عند الطبري أن يحيى قدم إلى خراسان مع سلم بن زياد في عام ٦١/٦٨١ (٢) . فالتاريخ المتأخر المذكور أعلاه يبدو مستحيلاً كلياً ، إذا ما علمنا أن يحيى كان يأخذ بالفعل عن أبي ذرّ ( توفي عام ٣٢/٦٥٢ ) وعن عمّار بن ياسر ( توفي عام ٣٧/ ٦٥٧ ) وعن عائشة ( توفيت عام ٥٨/٦٧٨ ) كما يزعم الذهبي (٣) . وأما التاريخ الذي حدده المرزباني فيضعف الأخذ به ، وذلك إستناداً إلى ماورد عند ابن الجوزي من أن الحجّاج قد نفاه المرة الثانية إلى خراسان في عام ٨٤/٧٠٣ (٤) . وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنه ، علاوة على ذلك ،

---

(١) قارن المحاسبي « فهم القرآن » ص ٤٣٩ السطر الثاني قبل الأخير ( القوتلي ) .

(٢) « التاريخ » ج ٢ ص ٣٩٣ س ٣ ، كذلك H. A. R. Gibb, The Arab Conquests in Central Asia ص ٢١

(٣) « تذكرة الحفاظ » ص ٧٥ س ٦ من تحت .

(٤) قارن ابن خلكان ص ٢٢٣ س ١٦ ومابعده .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قد كتب إلى قتيبة بن مسلم [١] الذي لم يقدم إلى مرو إلا في نهاية عام ٨٥/٧٠٤ [٢] ، فإننا نرى أنفسنا مضطرين إلى أن نرجع إلى ما بعد هذا التاريخ . إن كل هذه المؤشرات التاريخية ليست ، والحق يقال ، جديرة بكل ثقة . إلا أنه من الأفضل أن نلتزم بذلك التاريخ العام الذي ذكره خليفة بن خياط .

أما السبب الذي من أجله نفاه الحجّاج ، فهو عبارة عن زعم سائد ليس إلا : فلقد قيل إنه لفت نظر ذلك الحاكم إلى معلوماته الضعيفة في اللغة الفصحى [٣] . وهنا جاز لنا أن نتساءل : أليس من الأحرى بنا أن نرى في تاريخ وفاته عند المرزباني — الذي يطابق تماماً تاريخ وفاة معبد — ونفيه إلى خراسان إشارة إلى نوع التعاطف مع ابن الأشعث ؟ ويعوض الذهبي لحكم مفاده أن يحيى قد كشف عن بدعة في مسألة القدر بقوله هذا: « نحن أقدر من الله » [٤] . ومما لا ريب فيه أن الرواية قد طبعت بطابع الجدل الحاد . ولكنها لا معنى لها بحد ذاتها إلا إذا نسبت إلى أحد القدريين . وعلى كل حال ، فان يحيى كان يروي حديثاً عن معبد الجهني [٥] . وما عدا ذلك فقد وصف بين الحين والآخر بأنه شيعي [٦] ، ربما لأنه كان

(١) قارن المرزباني ص ٢٢ س ٧ والذي يليه .

(٢) قارن Gibb, Arab Conquests ص ٢٨

(٣) قارن أيضاً المرزباني ص ٢١ س ١٥ ومابعده ، وعلى كل حال فهناك أيضاً تعليل مختلف س ١٩ ومابعده .

(٤) « الميزان » رقم ٩٦٦٠

(٥) قارن السمعاني « الأنساب » ج ٣ ص ٤٤١ السطر الأخير .

(٦) قارن ابن خلكان « الوفيات » ج ٥ ص ٢٢٢ س ١١ ومابعده .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ينقل عن أبي ذر وعن عمّار بن ياسر – وكذلك أيضاً عن عائشة – ، أو لربما ، وذلك هو الأرجح ، بسبب رواية رواها المرزباني [١] . لقد كان يحيى من النحويين والقرّاء [٢] ، وكان نزيل البصرة ، إلا أنه أقام في خراسان مدة طويلة وكان فيها قاضياً لمرو [٣] . ويقال إن يزيد بن المهلب قد عزله عن هذا المنصب [٤] ، في بداية عهده على وجه الاحتمال – ( عام ٧٠٢/٨٢ ومطلع عام ٧٠٤/٨٥ ) [٥] . ولا يمكن تصور مثل هذا إلا إذا كان الحجّاج قد أعاده فعلاً إلى خراسان من جديد في عام ٧٠٣/٨٤ لقد كان يحيى كمعبد الجهني من أصل عربي قحّ ، وكان يوصف بأنه حكيم العرب [٦] .

الأخبار عنه غير واضحة ، ولا يعرف عن مكانته في علم الكلام أكثر مما تقدم . وهذا الواقع لا يتفق وما قيل عنه من أنه وضع « رسالة

---

(١) « نور القبس » ص ٢١ س ١٩ ومابعده .

(٢) قارن ابن الجزري « طبقات القراء » رقم ٣٨٧٣ ( Bergstrasser ).

(٣) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١١ ص ٣٠٥ س ٢

(٤) قارن المرزباني ص ٢٢ س ٩ ومابعده .

(٥) قارن ... Gibb, Arab Conquests ص ٢٥ ومابعدها .

(٦) قارن ابن حزم « جمهرة أنساب العرب » ص ٢٤٣ س ٥ من تحت ، هذا يذكّر بوصف الكندي بفيلسوف العرب . راجع أيضاً وكيع « أخبار القضاة » ج ٣ ص ٣٠٥ والتي تليها ، ابن سعد « الطبقات » ج ٧ ، ٢ ص ١٠١ ، ابن الأبّار « إعتاب الكتاب » ص ٥٣ ومابعدها ( اشتر ) ، « الأعلام » الزركلي ج ٩ ص ٢٢٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في ذم القدرية » . فلو صح هذ القول ، لكان من المفروض أن نعثر على مواقفه الجبرية في المراجع التي لدينا . أما إذا كان الأمر مختلفاً ، بل وإذا كان يحيى ، على العكس من ذلك ، قد تعرض لبعض الهجمات بسبب مواقفه القدرية المتطرفة ، فهذا يعني أحد أمرين : فإما أن يكون البغدادي قد خلط بينه وبين شخص آخر ، وإما أن يكون قد نُظِرَ إلى تلك الرسالة على أنها مزوّرة — وهذا أقرب الاحتمالين — . غير أن ابن النديم — الذي كان يعتبر معتزلياً ثاقب البصر في مثل هذه المستندات المشكوك في صحة أصحابها — لم يأت على ذكرها في عداد تلك المستندات . ومن جهة أخرى فإن الحديث الذي نحن بصدد معالجته ، بما فيه التوطئة ، يصح تماماً أن يدخل في رسالة ، كبحث الرسالة الآنفة الذكر ، فيُكوّن عند ذلك مدخلها ، ثم تليه روايات ابن عمر المعادية للقدرية — أو التي فهمها الناس على أنها معادية للقدرية — . وعليه فقد تكون التوطئة غير صادرة عن يحيى بن يعمر نفسه .غير أنه ليس من المستبعد أن يكون الشطر الرئيسي في الحديث قد أخذ عنه بالفعل . ولا نزال نجد هذا المقطع أيضاً مع ذكر أسانيد أخرى . فمن الممكن إذاً أن تكون الرسالة قد استخدمت لبّ الحديث الأكثر قدماً ، ليس في المتن فحسب ، وإنما في الإسناد أيضاً . ومن المحتمل أن يكون المحدّثون قد وجدوا في ذلك تلميحاً لاذعاً من نوع خاص : ففي توطئة الحديث ذِكْرٌ لشخصين عاصرا معبداً ، أحدهما ، وهو يحيى ، كان وإياه على اتفاق تام في المذهب على ما يبدو ، وأما الآخر فأقل ما يقال عنه انه كان فقيهاً كمعبد ... نقول إنه لتلميح لاذع أن يلجأ هذان الشخصان إلى الاذعان للهداية على يد أحد الصحابة البارزين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فإذا ما أطلقت يد يحيى في عرض المذهب البصري ونشره [1] بكل إيجابية ، كما جاء في بعض الروايات ، فإنما قد يكون ذلك من باب التشديد على مفعول تلك الهداية .

مما لا شك فيه أن المستند قد نشأ في البصرة . لقد انتشرت منه « نسخات » عديدة ، كل منها تعرض آخر ما وصلت إليه المناقشات حول القدر . ونعتقد أن أقدم تلك النسخات يعود عهدها إلى ما قبل عام ١٢٠/ ٧٣٨ . ففي هذا العام توفي علقمة بن مرثد الذي سلّم النص إلى أبي حنيفة في الكوفة . ومن الممكن أن تكون قد ظهرت في السنوات العشر التي تفصل عام وفاة الحسن البصري عن هذا التاريخ . إن صيغة النسخة التي لمعبد فيها نصيب ، تُنْسب إلى عبد الله بن بريدة ، إلا أن ذلك خدعة ، على ما يظن . فقد كان ابن بريدة قاضياً في مرو . وحتى لو سلمنا أن خراسان كانت في ذلك الوقت على ارتباط وثيق بالبصرة ، فإنه من غير المحتمل أن يسلك المستند هذا الطريق الملتوي . لقد كان القصد من ذلك على الأرجح ، التعريف بمعبد على أهون سبيل . ولا يخفى أن ذكر معبد كان في ذلك الوقت موضع انتقاد عند كل أولئك الذين كانوا يتذكرون الوضع على حقيقته : فعبد الله بن بريدة كان بحكم منصبه كخلف ليحيى في مرو الوسيطَ المطلوب . وكان من الصعب التحقق من رواياته بسبب المسافة البعيدة . ولا شك أن نسبة إحدى الصيغ الغامضة إلى أخيه سليمان قد فعلت فعلها هي أيضاً . فلربما يكون الاسناد قد أشار فيها ،في الأصل،

(١) قارن مع النص الذي تقدم من هذا المقال .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إشارة عامة فقط إلى المسمى ابن بريدة . لذا فمن الصعب التثبت في نهاية الأمر من واضع هذا المستند ومن محوره . وقد يجوز أن ننظر إليه على أنه تعبير جماعي للأقلية الجبرية في البصرة . وعلى ما يظهر ، فقد وضع مطر الورّاق ( توفي قبل عام ١٣٠/٧٤٧ ) في التداول صيغة لنص نحيلنا بشكل قاطع على معبد الجهني .

* * *

ويمكننا الآن أن نوجز ما تقدم . من الظاهر أن مذهب القدرية لم يكن ليشكل بعدُ خطراً على الدولة قبل فتنة ابن الأشعث . فلم يعدم معبد بسبب مذهبه ـ ذلك المذهب الذي نادى به الحسن البصري أيضاً ـ وإنما بسبب نشاطه السياسي ، شأنه في ذلك شأن أخيه . فبعد إعدامه بسنوات ، بل وبشيء من التأكيد ، بعد وفاة الحسن البصري ( ١١٠ / ٧٢٨ ) ، حاول الناس أن يجدوا في هذا الحدث سبيلاً إلى النيل من تعاليم القدرية أيضاً . من أجل ذلك بدؤوا يصورون معبداً « كأول القدريين » ولقد تم ذلك في مكانين : في البصرة وفي الشام التي كانت تابعة لها بعض التبعية . ففي البصرة استطاعت هذه الأفكار أن تنضم إلى أفكار معادية للقدرية ، قد أضيفت ـ على ما يبدو ـ بين عامي ١١٠/٧٢٨ و ١٢٠/٧٣٨ كمقدمة إلى حديث متداول . وفي السنوات العشر التي تلت ذلك ، أي قبل عام ١٣٠/٧٤٨ على كل حال ، ما كان ذلك الحديث بحاجة إلا إلى اسم يلصق به . أما في الشام فإن هذه الامكانية لم تكن ميسرة فالناس كانوا قد شهدوا فيها إعدام معبد . ومثل هذه الاعدامات التي يرتبط طابعها السياسي باعتبارات دينية ، كان لها ولا شك وقع مروّع على الجماهير ، بل وأيضاً تأثير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مقبض للنفوس من بعض الوجوه . يضاف إلى ذلك كله أن معبداً لم يكن نكرة من النكرات ، وإنما شخصية سامية المقام حملت عبد الملك نفسه على تقديم الاحترام لها . ومن المحتمل أن الوضع الذي سبب الرجوع إلى مصير معبد ، إنما كان تجدد نشاط القدرية في عهد يزيد بن الوليد ( في عام ١٢٦/٧٤٤ ) . فالشام كانت مهيّأة لذلك ففيها كان الحديث يتناول بصفة خاصة غيلان الدمشقي الذي تم إعدامه على الشكل نفسه ليكون عبرة لمن اعتبر . ويغلب على الظن أيضاً أن الوضع كان شبيهاً في البصرة : فمطر الورّاق كان معروفاً بمداوته لعمرو بن عبيد ، ومن المعروف أيضاً أن هذا الأخير كان من مؤيدي يزيد بن الوليد [١] .

وفي مجموعة ثانية من الأحاديث يطالعنا موضوع آخر بالاضافة إلى ما تقدم . ففيها يقال إن أحد الموالي قد ضلّل معبداً . ولا حاجة بنا إلى إثبات أن هذه الرواية بصرية المصدر ، ويبدو من الواضح أن عبد الله بن عون هو الذي قد وضعها ، وذلك بعد عام ١٣٠/٧٤٨ . ويظهر أن الأوزاعي قد أخذها عنه ونقلها إلى الشام . وقد كان يشاع ، من باب الاطمئنان النفسي ، أن البدعة أقل ما يقال عنها ، أنه لم يأت بها شخص لم يتنكّر لأصله الاسلامي والعربي القح . ولو افترضنا أن بصرياً لا يتفق مع الفريق القدري من سكان مدينته — ذلك الفريق الذي كان لا يزال يحسب له حساب في ذلك الوقت - نقول لو أن هذا البصري لم ينكر

---

(١) قارن ابن المرتضى « طبقات المعتزلة » ص ١٢٠ س ١٢ وما بعده ( Diwald Wilzer ) ، الشهرستاني « الملل والنحل » ص ١٧ س ١٥ ( Cureton ) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أن فساداً قد قام في تلك المدينة عينها ، فإن أقل ما يمكن قوله في هذا السبيل هو أن ذلك الفساد لم يصدر عن أعيان تلك المدينة ، وإنما عن حطاط شعبها . وهل كان متوقعاً ، على كل حال ، أن يصدر عن الحطاط غير هذا [1] ؟.. إن الذين كان لهم ضلع كبير في تزوير التاريخ هذا والذين تقع عليهم مسؤوليته أيضاً ، لم يكونوا إلا بعض تلامذة الحسن البصري ، أولئك الذين قرروا تفسير تراثه تفسيراً جبرياً ، في الوقت الذي أخذت فيه مشكلة القدر تستقطب الأفكار ودخلت فيه المعتزلة ميدان الصراع . فلقد تسلّم مطر الورّاق حلقة قتادة بعد وفاة هذا الأخير في عام ٧٣٥/١١٧ أو في عام ٧٣٦/١١٨ [2] ، كما كان قد تسلّمها قتادة من الحسن البصري . ويرجّح أن الورّاق كان مهتماً بنوع خاص بأن يضفي على الحلقة طابعاً شخصياً حسب مفهومه لها . ولقد سارت الأمور في البصرة على غير ما سارت عليه في الشام ، فحدث تفاعل بين أمرين : فبالإضافة

---

(١) انظر ما تقدم من هذا المقال . إن ابن عساكر ينعت أبا يونس الأسواري بلفظة حقير في أحد أخباره . وعندما كان يُذكر اسمه مقروناً بذكر اللواحق في نفس الفقرة فإنما كان يُقصد شيء من هذا القبيل . وفي أيام عثمان كانت تطلق لفظة لواحق أو روادف على الرعاع أتباع بعض الثائرين ( قارن الطبري ج ١ ص ٢٨٥٢ ) . غير أن تلك اللفظة كانت تعني في هذا المكان عرباً أو بالأحرى أعارب .

(٢) قارن أبو زرعة الدمشقي « التاريخ » ( مخطوطة استنبول ، فاتح رقم ٤٢١٠ ، ٣٢ ب س ١٣ والذي يليه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إلى الالتزام بموقف معاد للقدرية ؛ قامت محاولة لحماية الحسن البصري من التهجمات ولاستغلاله لمآرب أهل السنّة . ولقد كان معروفاً في هذه الحلقات أنه بقدر ما تصبح صورة معبد قاتمة ، بقدر ذلك تتجلى شخصية الحسن وتتلألأ نوراً . فإلى هذه الحلقات يعود الفضل في أن المعتزلة نفسها ليست هي وحدها التي اتخذت الحسن كمثال يحتذى ، وإنما أهل السنّة أيضاً . . أجل ، لقد اتخذ الحسن مثالاً يحتذى ، وذلك على الرغم من التزامه بالقدرية .

جمهورية المانيا الاتحادية يوسف فان اس

توبنجن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net